المقتطف

الجزء الثامن من السنة الحادية والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٧ الموافق ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٥

افلاطون وفلسفته

لولا التآليف التي خلد بها قدماء اليونان والرومان ذكر مشاهيرهم ولو لم تكن من الرخام الذي يقوى على انياب الدهر فلا يبلى ولا يفنى ولولا اتقان فن النحت عندهم حتى تماثل

التماثيل اصحابها لنعذّر علينا ان نعرف شكل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من القدماء اما وقد وُجدت تماثيلهم مصنوعة بايدي امهر صناعهم فلم نفقد الاَّ صوتهم يرنُّ في آذاننا. الاَّ انهُ لو خفي علينا شكل وجوههم لم تكن الخسارة كبيرة لان الانسان بعقلهِ وكمالهِ لا بقدهِ واعتدالهِ وعقول اولئك الفلاسفة وسيرتهم الادبيَّة راسخة في بطون الاوراق بما قالوهُ او كتبوهُ وبما نقلهُ عنهم معاصروهم. وقد مضى عليهم اكثر من الفي عام تحت الثرى وتنشأت افلاطون منتشرة في الخافقين تهذب العقول وتدمّث الاخلاق وترفع شأن الحكمة وتعلي مقام الفضيلة

ولد افلاطون سنة ٤٢٧ قبل المسيح واختلف الرواة في مسقط رأسهِ فقيل مدينة اثينا وقيل جزيرة اجينا. وهو من عائلة وجيهة ابوهُ من نسل قدروس الملك الاخير من ملوك اثينا وامهُ من نسل سولون الحكيم. وكان اليونان يزعمون ان نسب قدروس وسولون يتصل بالآلهة. والمجبون منهم بافلاطون لم يكتفوا برد نسبهِ الى الآلهة من حيث ابوهُ بل زعموا انهُ ابن الاله ابلون ومن ثم لُقّب بافلاطون الالهي. وكانوا يحتفلون بعيد ميلادهِ في آخر مايو (ايار) يوم الاحتفال بعيد الاله ابلون. قالوا وكانت النحل تأتيهِ وهو طفل وتطعمهُ عسلها. وكان اسمهُ ارسطوقليس على اسم جدهِ ولكن معلمهُ الذي كان يحبهُ الالعاب الرياضيَّة سماهُ افلاطون لاتساع منكبيهِ او لاتساع جبينهِ

ولا يبعد ان يكون قد تجنَّد للدفاع عن وطنهِ مثل معلمهِ سقراط. ويقال انهُ نظم الشعر في حداثتهِ. اما من حيث علومهُ الفلسفيَّة فقد اثبت تلميذهُ ارسطوطاليس انهُ اخذ عن قراتلس تلميذ هيرقليطس وعن سقراط وعن الفلاسفة الايطاليين. وقال ديوجنس ان افلاطون اتخذ لسقراط وعمرهُ عشرون سنة وعليهِ فيكون قد بقي في حلقة سقراط ثماني سنوات. ولما مات سقراط مسمومًا كان افلاطون مريضًا فلم يسمع كلامهُ الاخير

ولم يتولَّ افلاطون الخطط السياسيَّة لان الربط العائليَّة كانت تربطهُ بالحزب المضاد للحكومة الجمهورية وكانت مقاليد البلاد في يدها حينئذٍ ثمَّ لما قضي على سقراط ظلمًا وعدوانًا كما ذكرنا في الجزء الماضي زادت كراهتهُ لرجال السياسة وزاد نفورهُ منهم

وانتقل الى مجارى [1] بعد موت سقراط حيث كان اقليدس المجاري المذكور في ترجمة سقراط وكان مهتمًّا بالفلسفة الايليائيَّة [2] من الوجه الذي طرقهُ زينون الحكيم واضع علم المنطق

(١) مدينة يونانية في جزيرة صقلية

(٢) نسبة الى ايليا مدينة يونانية في ايطاليا. ومدار الفلسفة الايليائية على تصوّر الموجودات مجرَّدة عن الحواس المادية وعند اصحابها ان كل الاشياء واحدة وغير متغيرة وان الله واحد وهو واجب الوجود لذاته غير متغير ولا يمكن ان يقابل بالانسان بوجه من الوجوه

فسميت طريقتهُ بالطريقة الجدلية . ولا يعلم كم اقام في مجاري ولكن اقامتهُ فيها اثَّرت في افكارهِ وآرائهِ . ثمَّ سافر اسفارًا طويلة على ما قيل فزار القيروان ومصر وايطاليا وصقلية وزيارتهُ لصقلية مثبتة . ويقال انهُ زار بلاد فارس و بابل وفلسطين ولقي المجوس والبابليين واليهود . ولكن المرجح ان ذلك كلهُ باطل وضعهُ الذين يحسبون الحكمة محصورة في المشرق . ويقال ايضًا انهُ بينما كان راجعًا من صقلية قُبض عليهِ بامر صاحبها ديونيسيوس الاكبر طاغية سيراقوسة (٢) وبيع عبدًا ثم افتداهُ رجل من اهالي القيروان فعاد الى اثينا واخذ يلقي الدروس في الاكادمية وهي حرجة الالعاب الرياضية الى الجهة الغربية من اثينا سميت بذلك نسبة الى البطل اكادموس وكان لافلاطون بستان بجانبها فاجتمع اليهِ جمهور من الطلبة فجعل يلقي الدروس عليهم فيهِ ثمَّ يكتبها في محاورات

ومات ديونيسيوس الاكبر طاغية سيراقوسة وخلفهُ ابنهُ ديونيسيوس الاصغر وكان لهُ عمٌّ اسمهُ ديون كان رجلاً صالحًا تعلَّم الحكمة والصلاح من افلاطون فاشار عليهِ باستدعائهِ للانتفاع بآرائهِ الصائبة وحكمتهِ الراسخة فاجابهُ ديونيسيوس الى ذلك . ولم يكن افلاطون قد نسي ما اصابهُ من ديونيسيوس الاكبر لكنَّ حكمتهُ وصلاحهُ ابيا عليهِ ان يمسك الارشاد عن مسترشد والافادة عن مستفيد فقام من ساعتهِ وتنامى مافات وجاء الى سيراقوسة . فرحَّب بهِ ديونيسيوس واركبهُ مركبة فاخرة وذبح ذبائح الشكر لوصولهِ اليهِ سالمًا . وفرح اهالي سيراقوسة ايضًا وترجوا من افلاطون خيرًا حتى رجال البلاط مع ما هم فيهِ من الخلاعة والفساد ابدوا الرزانة والوقار وتظاهروا بحب الحكمة وإعلاء شأن الفضيلة . وكان ديونيسيوس اسرعهم الى الاقبال على افلاطون والارتشاف من بحر حكمتهِ ولكن صدق من قال

واسرع مفعول فعلت تغيرًا تكلُّب شيء في طباعك ضده

فلم يطل الامر على ديونيسيوس حتى عاد الى مثلثيهِ وملَّ افلاطون ونصائحهُ واصغى الى الوشاة وكانوا يقولون لهُ انك اصبحت عبدًا ذليلاً لديون وافلاطون فنفى ديون وصرف افلاطون من بلادهِ

وعاد افلاطون الى سيراقوسة مرة ثالثة ليصلح بين ديونيسيوس وعمهِ ديون فلم يفلح وكاد يقضي عليهِ لولا شفاعة احد مريديهِ فرجع الى اثينا وعكف على التدريس الى ان وافتهُ منيتهُ وهو في الحادية والثمانين من عمرهِ وخلفهُ سبوسبُّوس ابن اختهِ في اكاديميتهِ ولكن الخليفة الحقيقي لهُ في العلم والحكمة تلميذهُ ارسطوطاليس

(٢) مدينة في جزيرة صقلية بناها اناس من اهالي كورنثس سنة ٧٣٣ قبل المسيح

وكتب افلاطون كتباً كثيرة والمرجح ان كتبهُ وصلت الينا كلها ولم يضع منها شيء بل وصل معها كتب أُخرى نسبت اليهِ وهي ليست لهُ. وقد قال ثراسلوس (وهو من العلماء الذين نشأوا في عهد اغسطس وطيباريوس قيصر) ان ٣٦ من كتب افلاطون لهُ وما بقي فمنسوب اليهِ ولا صحة لنسبتهِ. ولعلهُ نطق بلسان حفظة الكتب في مكتبة الاسكندرية. وذكر لهُ كتّاب العرب كتباً اخرى غير هذه حتى اوصلوا كتبهُ الى ٥٦ كتاباً ولا دليل على صحة ما ذكروهُ

ورتب ارستوفانيس (من حفظة مكتبة الاسكندرية سنة ٢٤٦ قبل المسيح) كثيراً من محاورات افلاطون في ثواليث في كل ثالث منها ثلاث كتب. وكان افلاطون قد اشار بجمع ثالوثين منها الاول يشتمل على كتاب الجمهورية (السياسة المدنية ؟) وكتاب طيماوس وكتاب قريطياس والثاني على كتاب السوفسطي والنوليطيقوس والفيلسوفوس ومات قبل ان ألّف الكتاب الاخير. ثم رتبها ثراسلُس المار ذكرهُ اربعة اربعة فجعل منها تسعة رابوعات في كل رابوع اربعة كتب فعدتها مما ٣٦ كتاباً وإلى ذلك اشار البشير بن فاتك حيث قال "وكتبهُ يتصل بعضها ببعض اربعة اربعة يجمعها غرض واحد ويخص كل واحد منها غرض خاص ويسمى كل واحد منها رابوعاً وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبلهُ". نقل ذلك ابن ابي اصيبعة في كتابهِ "عيون الانباء في طبقات الاطبّاء" وذكر اسماء كتب افلاطون وابقى اكثرها على اللفظ اليوناني إما على صحتهِ او مع قليل من التحريف

والذين درسوا كتب افلاطون من الاوربيين قسموها الى اقسام حسب الزمان الذي كتبها فيهِ والاحوال التي كتبت فيها وقالوا ان اقدمها كتب المحاورات الصغيرة التي لم يخرج فيها عما سمعهُ من معلمهِ سقراط على ما يظهر من مقابلتها بما كتبهُ زينوفون. ومن ذلك كتاب خرميدس في العفة وكتاب لاخيس في الشجاعة. ومن اشهر هذه المحاورات محاورة سقراط مع افروطاغورس حيث ابان ان المعرفة اساس الفضائل كلها. والمرجح ان افلاطون كتب هذه المحاورات قبل موت سقراط. قال ديوجنس البلاريتي واطّلع سقراط على محاورة ليس في الصداقة فقال اللهمّ ما اكثر الاكاذيب التي نسبها اليّ هذا الفتى

وقد اعتاد الكتّاب ان يقسموا فلسفة افلاطون الى ثلاثة اقسام المنطق والطبيعيات والالهيات وهو لم يقسم كتبهُ كذلك ولا كانت لهُ طريقة فلسفية خاصة ولا نظام خاص وكل ما قالهُ وعلّم بهِ مبنيٌّ على ما سمعهُ من معلمهِ سقراط وقد ضمنهُ كثيراً من اقوال الفلاسفة الاقدمين التي اغفلها سقراط عمداً. ثم اخذ ارسطوطاليس اقوال افلاطون وبنى عليها فلسفتهُ فكأنهُ رأى فيها من الاصول الفلسفية مالم يرهُ افلاطون نفسهُ

ولما قام سقراط كانت عقول الناس قد اضطربت وجعلوا يرتابون في المسلّمات ولا سيما لانهم رأوا ان ما يعدهُ الانسان واجباً في اثينا مثلاً لا يعدهُ واجباً في اسبرطه فقالوا على مَ نسعى في البحث عن الواجب ولا نكتفي بالعمل حسب مقتضى الحال فان هذه الشرائع التي سنها الناس تقيّد الطبع مع ان الطبع سابقٌ لها فعلى مَ نجاريها ولا نجاريهِ . ورأوا ان طرق الجدَل الشائعة حينئذٍ تثبت الشيء ونقيضهُ فارتابوا فيها كلها

ومذهب سقراط ان اول درجة يبلغها الانسان في البحث هي انهُ يشعر بانهُ لا يعرف شيئاً ومتى بلغ هذه الدرجة يأخذ يبحث ويستقصي فيعرف شيئاً او يعرف الطريق المؤدي الى المعرفة . ومجال البحث الحياة الدنيا وغرضهُ الحق والصلاح والدليل على صحتهما الاجماع والسبيل لاظهارهما المحاورة والطريق المؤدي اليهما التأمّل . هذه هي المبادئ التي بنى فلسفتهُ عليها وامتاز بايضاحها على اساليب مبتكرة ولم يكن غرضهُ ان يعلّم الناس بحقيقة الامور ويقتصروا على ذلك بل ان يعملوا بما علموا كما تقدم في الجزء الماضي لانهُ قال ان الحق نافع ومتى عرف الناس نفعهُ عملوا بهِ

واخذ افلاطون هذه المبادئ وشرحها وتوسّع فيها على اساليب شتى ولم يكتفِ بما اخذهُ عن معلمهِ وبما ادّاهُ اليهِ ذهنهُ الوقّاد بل اضاف اليهِ خلاصة الابحاث الفلسفيّة المعروفة في عصرهِ . وكانت اثينا في ذلك العصر ميدان الفلسفة والآراء الفلسفيّة يجاري فيها السفسطائيّة وغيرهم من طالبي الحكمة . ومن يقرأ محاوراتهِ يجد فيها احكم الاقوال واعدلها وأقربها الى الحرية والمجاهرة بالحق لا يمازج ذلك شيء من التسلّط والتعصّب والشموخ بل كان الرجال الذين يتحاور معهم الحكمة ضالتهم والمعرفة غرضهم وقد لا تكون سيرة بعضهم حميدة على ما رواهُ التاريخ عنهم اما في حضرة افلاطون فكانوا كلهم دعة وشوق الى الحكمة

وفي كتبهِ مبدآن ثابتان الاول محبتهُ للحق والثاني غيرتهُ مع اصلاح شأن الانسان . الاول نظري والثاني عملي ولكنهما متمازجان معاً وقد تغيرت ازاؤهُ النظرية ولا سيما في ما يتعلق بالصور ولكن اعتقادهُ بسلطة العقل ووحدة الحق والصلاح لم يتغير واحكامهُ في ما يتعلق بالنفس والتهذيب والسياسة تعلو الى المقام الاول بين فلاسفة الارض حتى قال احد فلاسفة هذا العصر ان كل الحقائق الفلسفية موجودة في كتب افلاطون اذا فهمت على حقيقتها وكل الاغاليط الفلسفية موجودة ايضاً في كتب افلاطون اذا فهمت على غير حقيقتها

وقد وقع الخطاء في فهم كتبهِ لانهُ اعتمد على الامثلة والرموز من ذلك تشبيههُ جمهور الناس باسرى مقيدين في كهف عميق ووراءهم نار متقدة فتقع انوارها عليهم وتقع ظلالهم امامهم فيرونها

ويظنونها اشباحاً حقيقيَّة . ثمَّ يلتفت بعضهم الى ما وراءهُ فيرى النار ويعلم حقيقة الظلال . وبعد عناء شديد يصعدون من الكهف الى وجه الارض ويمرّنون عيونهم على رؤية المرئيات الارضيَّة ثمَّ ينظرون إلى الشمس نفسها . وقد رمز بذلك الى التعليم فقال انهُ بمثابة ادارة عين النفس الى ما حولها والعلم نفسهُ صور راسخة في النفس فاذا أُديرت البصيرة اليها رأتها كما هي ولا يكون ذلك الاَّ بواسطة العلوم الرياضيَّة لان الرياضيات هي العلم الوحيد الذي جاز دور الطمولية

ويروى عنهُ انهُ كتب على باب مدرستهِ "لا يدخلها من يجهل الهندسة" . وكان للهندسة وللصور الهندسيَّة الشأن الاكبر في فلسفتهِ وانها هي أُلفي سهَّلت عليهِ التكلم عن الصور او الاشكال كأنهُ اتيه لتجريد الصور الكلية من الموجودات برؤية الصور او الاشكال الهندسيَّة

وقال ان نفس الانسان متوسطة بين الصور والاجساد وهي ثلاث ما دامت في الجسد النفس الناطقة والنفس الروحيَّة والنفس الشهوانيَّة . وان النفس السرمدية اي أُلفي لا بداية لها ولا نهاية انما هي النفس الناطقة . وسلَّم بالفضائل الاربع وهي الحكمة فضيلة العقل والشجاعة فضيلة الروح والاعتدال فضيلة الاعضاء الدنيا في خضوعها الى العليا والعدل او البر وهو فضيلة النفس كلها و يراد بهِ ان يعمل كل احد عملهُ الخاص بهِ ولا يعترض لعمل غيرهِ . ثمَّ التفت من الفرد الى المملكة كلها فقال ان الحكمة فضيلة الولاة والشجاعة فضيلة الجنود والاعتدال الفضيلة الناتجة من طاعة المرؤوسين للرؤساء والعدل فضيلة البلاد كلها . ولابدَّ للبلاد من حاكم يحكمها وخير الحكام الفلاسفة . واشار بان تكون سياسة البلاد كسياسة العائلة وان يتساوى الرجال والنساء في الحقوق والواجبات و يلغى نظام الملك والعائلة و يكون كل شيء مشتركاً و يكون الحكام وهم من الفلاسفة قوَّاماً على الرعيَّة . فكأنهُ اخذ حكم اسبرطه العسكري واضاف اليهِ بعض الاحكام الفلسفية اما حكم اسبرطه فكان طيموقراسيًّا اي ان السلطة فيهِ للجنود ودون هذا الحكم الاوليغرخي الذي تكون السيادة فيهِ بيد الاغنياء . ودونهُ الحكم الديموقراطي الذي تكون فيهِ السيادة للجميع بلا تمييز بين الصالح والطالح . وادنى الاحكام كلها الحكم الاستبدادي الذي تكون السلطة فيهِ محصورة بانسان متوحش . الاَّ انهُ لم يتبع هذا التقسيم في كل كتبهِ

واعترض على كثير مما ذكر في اشعار هوميروس وهسيرد وعلى ما في المذاهب الدينيَّة الشائعة في عصرهِ بناء على انهُ كاذب او مفسد للاخلاق

وهذا الكلام الاجمالي عن فلسفة افلاطون لا يروي طالب المعرفة الذي لم يدرس كتاباً من كتبهِ فلابدَّ من العود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى ونشر بعض فصول من كتبهِ لكي تُظهر طريقة بحثهِ ومبادئ فلسفتهِ